جامعة الأزهر
كلية التربية

مجلة التربية

مجلة علمية محكمة

للبحوث التربوية والنفسية والاجتماعية

العدد: ١٥١ الجزء الأول
ديسمبر ٢٠١٢م – صفر ١٤٣٤هـ

حرية الفكر والعقيدة في القرآن الكريم

إعداد

د/ سعيد بن راشد الصوافي

قسم العلوم الإسلامية ـ كلية التربية

جامعة السلطان قابوس

سلطنة عُمان

حرية الفكر والعقيدة في القرآن الكريم

الملخص:

هذه الورقة البحثية تتناول حرية الفكر والعقيدة في ضوء القرآن الكريم، وهي بعنوان (حرية الفكر والعقيدة في القرآن الكريم) وشملت الموضوعات الآتية: مقدمة: تناولت أهمية الموضوع، والخطة، ثم التمهيد: الذي أعطى فكرة بسيطة عن مفهوم الحرية في القرآن الكريم، ويأتي المبحث الأول: العقل أساس حرية الفكر والعقيدة، وشمل: تكريم الله الإنسان بالعقل، والربط بين العقل والإيمان، ثم المبحث الثاني: مرتكزات حرية الفكر والعقيدة في القرآن الكريم: وتضمن: حرية الفكر والعقيدة فطرة إنسانية، وتقرير القرآن الكريم لحرية الفكر والعقيدة، وحدود حرية الفكر والعقيدة، وأخيراً الخاتمة: حملت أهم النتائج .

وقد خرجت الورقة بالخلاصة الآتية: أن الله سبحانه وتعالى أراد لهذا الإنسان أن يكون حراً مبدعاً منطلقاً في هذا الكون؛ لذا خلقه بطبيعة تختلف عن بقية مخلوقاته، واختصه بمزايا تتناسب مع فطرته وطبيعة حياته في هذا الكون، ومن أعظم نعم الله على الإنسان أن جعل له إرادة حرّة لا يمكن أن تسلب منه بأي حال من الأحوال، فقد اختص الله سبحانه هذا الإنسان بالعقل، تكريماً له، وأمره باستعماله، للتوصل إلى الحقائق الصحيحة، متجرداً عن التعصب والتقليد، وفي مقابل ذلك لا يمكن أن يُفرض على الإنسان فكر معين، أو عقيدة معينة؛ لأن ذلك يتنافى مع حرية الإنسان، واستخفافاً بعقله، كما أن حرية الفكر والعقيدة أمر غير قابل للإكراه؛ لأنهما أمران باطنان، ينبعان من داخل وجدان الإنسان، يعتمدان على الاقتناع والإيمان .

المقدمة:

خلق الله الإنسان حراً منطلقاً في هذا الوجود، وأفاض عليه من التكريم والتمييز ما جعله يستحق أن يكون خليفة الله في أرضه، وفطره فطرة سويّة يستطيع بها إدراك الصحيح من غيره، وكرّمه بالعقل ليكون مناط التكليف، وأنزل له المنهج الرباني ليكون دليله وهاديه إلى سواء السبيل، لذلك جعل الله له حق حرية الفكر والعقيدة في ظل المنهج الرباني الذي حُدّد له.

في هذا الإطار تأتي هذه الورقة البحثية لتتناول حرية الفكر والعقيدة في ضوء القرآن الكريم، وهي بعنوان (حرية الفكر والعقيدة في القرآن الكريم)

وقد جاءت هذه الورقة على النحو الآتي: المقدمة: تناولت أهمية الموضوع، والخطة، ثم التمهيد: أعطى فكرة بسيطة عن مفهوم الحرية في القرآن الكريم، ويأتي المبحث الأول: العقل أساس حرية الفكر والعقيدة، تمثل في:

- تكريم الله الإنسان بالعقل .
- الربط بين العقل والإيمان .

أما المبحث الثاني: مرتكزات حرية الفكر والعقيدة في القرآن الكريم، فقد تضمّن الموضوعات الآتية:

- حرية الفكر والعقيدة فطرة إنسانية .
- تقرير القرآن الكريم لحرية الفكر والعقيدة .
- حدود حرية الفكر والعقيدة .

وأخيراً الخاتمة: حملت أهم النتائج .

تمهيد:

حق الحرية "من أكثر الحقوق الإنسانية التي شغلت العقائد والفلسفات، ومن أكثر المفاهيم تعرضاً للتفسير والتطوير، وطبيعي أن تختلف التفسيرات لهذا المصطلح من عقيدة لأخرى، ومن فلسفة لفلسفة" [١] .

وبعيداً عن الغوص في اختلاف المفاهيم والتفسيرات؛ فإن الحرية في القرآن الكريم منشؤها تحقيق العبودية لله، وانتفاء العبودية عن غير الله؛ ولذا فإنها ليست حرية الانطلاق الأعمى، وليست حرية الاستجابة للشهوات والملذات بلا قيود ولا حدود؛ فإن هذه ليست حرية، وإنما عبودية لتلك الشهوات [٢]. يقول أبو زهرة: " والذين يفهمون الحرية انطلاقاً؛ هم عبيد الأهواء والشهوات، الذين لا يراعون حق المجتمع على أنفسهم، ولا حق أنفسهم عليهم " [٣] .

إنها " ليست الانطلاق، بل هي التمييز، والترجيح، والاختيار، وإمارة الاختيار عدم انسياق الفرد وراء فرديته " [٤].

فالحرية – هي في الحقيقة – تجلي المعاني والقيم الإنسانية العالية [٥]، وأصل الحرية الإنسانية، أن الله تعالى خلق هذا الإنسان، وكرمه، وجعله حراً منطلقاً في ضوء ما حُدد له من منهج يسير عليه، ووفق ما أعطيه من إدراك وعقل يهتدي بهما في حياته. قال تعالى { وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } (البلد: ١٠)، أي أن الله تعالى وضّح للإنسان طريق الخير وطريق الشر؛ ليكون له الحرية في الاختيار، وقد منع القرآن الكريم أن توضع قيود أمام هذا الإنسان، في سبيل تحقيق حريته، بعد أن وضّح الله سبحانه وتعالى له السبيل، وأعطاه الإدراك ووهبه العقل، كي يتحمل هو بعد ذلك تبعات اختياره. وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن هذه الحرية إنما هي حرية المنطق، لا حرية الهوى، حرية العقل، لا حرية الشهوات .

---

[١] – الباش، حسن مصطفى، حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، جمعية الدعوة الإسلامية – بنغازي، ط ١، ١٩٩٧ م، ص ٥١.

[٢] – الراوي، محمد، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، مكتبة العبيكان – الرياض، ١٩٩٥، ص ٣٦٢.

[٣] – أبو زهرة، محمد، تنظيم الإسلام للمجتمع، دار الفكر العربي – القاهرة، ص ١٨١.

[٤] – البهي، محمد، الإسلام دين المستوى الناضل في الإنسانية، مجلة حضارة الإسلام، الستة (٦)، العدد (١٠)، ١٩٦٥م، ص ٩٤٥.

[٥] – أبو زهرة، تنظيم الإسلام، للمجتمع، ص ١٨٠.

المبحث الأول

العقل أساس حرية الفكر والعقيدة

ـ تكريم الله الإنسان بالعقل

من أعظم الخصائص التي وهبها الله للإنسان تكريمه بالعقل، فهو منحة إلهية كبرى، وهو أسمى شيء في الإنسان، وأبرز خاصة تميزه عن غيره من المخلوقات، فبالعقل تدرك الأشياء، وبه تتميز الأمور، ويتبين الحسن والقبيح، وبه يتعيّن التكليف، يقول أبو الحسن البسيوي في معرض حديثه عن نعم الله على الإنسان: " وأما أفضلها فهو العقل؛ الذي حسّن الله به الحسن، وقبّح به القبيح، وبه وجب الحمد والذم، وبه لزم التكليف؛ لأن الله إنما خاطب العقلاء بما يعقلون، ومن لم يكن له عقل سقط عنه التكليف بالإجماع من الأمة " [٦]، فالعقل السليم مرشد لصاحبه إلى الخير، مبعد له عن مزالق الشر، وصاحب العقل السليم له الاستقلالية الإرادية، " فالعقل هو الأداة الكبرى للمعرفة ويتفرع عنه التفكير، والإرادة، والاختيار، وكسب العلوم " [٧]، فهذه الخاصة التي هي وسيلة للمعرفة، هي أيضا في الوقت نفسه معيار يمكن الرجوع إليه لتقويم المعرفة، وبيان الحق من الباطل، وهو معيار مشترك بين جميع بني الإنسان، وهم وإن اختلفوا في الأديان والمعتقدات، فإنهم لا يختلفون حول معايير العقل؛ التي أقام الإنسان لها علماً خاصاً هو علم المنطق.

لذلك نرى هذا الاهتمام الكبير من القرآن الكريم بخاصة العقل؛ لأنها القائد إلى صلاح الإنسانية إذا أحسن استعمالها، ومؤدية إلى انحرافها عن صراطها المرسوم إذا عطلت.

لقد كان من عناية القرآن الكريم بإبراز هذه الخاصية؛ أن ورد فيه لفظ العقل ومشتقاته في تسع وأربعين آية من آياته، وجاء ذكر معناه في ست عشرة آية أخرى بلفظ اللب، ومثلها بلفظ الفؤاد [٨].

---

[٦] ـ البسيوي، أبو الحسن علي بن محمد، جامع أبي الحسن البسيوي، وزارة التراث القومي والثقافة ـ سلطنة عمان، ١٩٨٤م، ج ١، ص ١٦ .

[٧] ـ الزحيلي، محمد، حقوق الإنسان في الإسلام، دار الكلم الطيب ـ دمشق، ط٢، ١٩٩٧، ص ٤٧.

[٨] ـ يُنظر: العلواني، طه جابر، العقل وموقعه في المنهجية الإسلامية إسلامية، مجلة المعرفة، عدد (٦)١٩٩٦م، ص ١٢، ودرادكة، صالح موسى، الإنسان في القرآن مؤسسة شيرين- عمان ١٩٨٧م، ص ١٥، وعزت محمد حسن، نعم الله في خلق الإنسان كما يصوره القرآن، مكتبة المعارف ـ الرياض، ط ١، ١٩٨٤ م، ص ١٢١.

ومن مظاهر عناية القرآن الكريم بالعقل؛ بيانه لمكانته لدى الإنسان، والضوابط التي تحمي العقل وتجعله يسير على وفق منطلق الإرادة الاختيارية، وليضع عنه الآصار؛ كي يسير طليقاً وفق الحدود الشرعية، ومن أهم مظاهر هذا الاهتمام:

١ــ مخاطبة القرآن الكريم ذوي العقول وحثهم على استعمال العقل: الخطاب القرآني متوجه إلى العقل الإنساني؛ وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذا الكون بما فيه مجالا لهذا العقل، كي يتفكر ويتدبر ويكشف أسراره، ويستخدم مقدراته لمصلحة الإنسانية، وإبعاده عن الخرافات التي لا تمت إلى الواقع بصلة [٩]، ومن ثم توجيهه إلى الاهتداء إلى خالق الكون، ومدبر الوجود، وإذ أنعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان بالعقل؛ فإنه حضه على استعماله بالتدبر والتأمل في آيات الله وملكوته، كي يزيح عنه الحجب التي تحول بينه وبين الرؤى الصحيحة للأشياء.

وقد تفنّن القرآن الكريم في الأساليب التي تخاطب العقل، وتنوّعت آياته التي تدعو الإنسان إلى التفكير والنظر والتدبر: فالقرآن الكريم يطالب العقل الإنساني بالنظر والتفكر والتدبر في عوالم السموات والأرض، وما فيها من الدلائل الواضحة على وحدانية الله تعالى في ألوهيته وربوبيته، يقول الله تعالى: { وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (النحل: ١٢)، { أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ } (الأعراف: ١٨٥)، { قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } (يونس: ١٠١)، { أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ . وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ } (ق: ٦ ــ ٨)، { أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ } (الغاشية: ١٧ ــ ٢٠)، { وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } (الذاريات: ٢١) .

كما أن القرآن الكريم يستنهض العقول، ويوجه الأفهام، ويوقظ الحواس، بالتعقيب على بيان الآيات الكونية والتشريعية [١٠]؛ بمثل قوله تعالى { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (الرعد: ٤، النحل: ١٢، الروم: ٢٤)، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (الرعد: ٣، الروم: ٢١، الزمر: ٤٢، الجاثية: ١٣)، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى } (طه: ٥٤، ١٢٨) وغيرها من الآيات الكثيرة المشابهة.

---

[٩] ــ كالاعتقاد بأن الأرض على قرن ثور، وإسناد ما في الوجود إلى صنع الطبيعة.

[١٠] ــ يُنظر: السائح، أحمد عبدالرحيم، منهج القرآن في تحرير العقل والفكر، الشبكة العالمية، الرابط:

http://www.almenhaj.net/makal.php?linkid=١٣٣٧

إن القرآن الكريم في آياته الكثيرة التي يحظ فيها الإنسان على استعمال العقل، إنما يخاطب العقل الذي يعصم الضمير، ويدرك الحقائق، ويميز بين الأمور، ويوازن بين الأضداد، ويتبصر ويتدبر، ويحسن الادكار، وهو العقل الذي يقابله الجمود والعنت والضلال [١١]

يقول العقاد: "وفريضة التفكير في القرآن الكريم تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من هذه الوظائف، بجميع خصائصها ومدلولاتها؛ فهو يخاطب العقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل الحكيم، والعقل الرشيد، ولا يذكر العقل عرضاً مقتضباً، بل يذكره مقصوداً مفصلاً، على نحو لا نظير له في كتاب من كتب الأديان" [١٢] .

٢ــ نعيُ القرآن الكريم على الإنسان تعطيل العقل: ذمّ القرآن الكريم الذين يعطلون خاصة العقل؛ لأنهم بذلك يلغون خاصتهم التي ميزهم الله بها عن سائر الكائنات الحية، لذلك أنكر عليهم القرآن الكريم أيما إنكار فقال تعالى: { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ } (الأنفال: ٢٢). كما بيّن القرآن الكريم أن تعطيل العقل عاقبته وخيمة؛ فهو يورث العذاب في نار جهنم، قال تعالى: { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } (الأعراف: ١٧٩)، ولذا كان من نتيجة تعطيل العقل أن يسير الإنسان في ظلام وضلال، مؤداهما الكفر بالله، وعدم الاهتداء إلى الإيمان به، يقول الله تعالى: { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} (الأنفال: ٥٥) .

إن القرآن الكريم إذ يشدد النكير على المعطلين عقولهم ولا يستخدمونها، ويجعلهم كالدواب؛ إنما يرمي إلى تحقيق أهداف معيّنة، من شأنها أن ترتقي بالإنسان نحو تحقيق الغاية من وجوده، ولذلك بيّن القرآن الكريم وأوضح للإنسان السبل الكفيلة لحماية عقل الإنسان من الجمود أو الانحراف أو الشطط عن جادة الصواب، ومن ذلك: أنه يحرر العقل الإنساني من أغلال الحجر؛ التي تعطله عن القيام بواجبه، وسيطرة التبعية العمياء؛ فإنها تتنافى مع موهبة العقل التي ميّز الله بها الإنسان، ولذا فإن المتأمل في آيات القرآن الكريم يجدها تركّز على تربية الإنسان على حرية الفكر، واستقلال الإرادة، ليكمل بذلك عقله، وتكتمل له شخصيته وإنسانيته، فإن كمال العقل واستقامة التفكير، واستقلال الإرادة، هي أساس صحة العقائد واستقامة التدين [١٣] .

---

[١١] ــ يُنظر: العقاد، التفكير فريضة إسلامية، دار الهلال، ص ١٥ .

[١٢] ــ المرجع السابق، ص ٧ .

[١٣] ــ يُنظر: السائح، أحمد عبدالرحيم، منهج القرآن في تحرير العقل والفكر، الشبكة العالمية، الرابط:

http://www.almenhaj.net/makal.php?linkid=١٣٣٧

نجد القرآن الكريم ينعى على العقول الغافلة غفلتها، وإعراضها عن قبول الحق، الذي تضمنته دلائل الآيات الكونية المحسوسة المشاهدة، كما في قوله تعالى { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } (الحج: ٤٦)، {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} (الأعراف: ١٧٩)، {وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} (يوسف: ١٠٥) .

كما عاب القرآن الكريم أسرى التقليد إعراضهم عن الحق الذي جاءت به أنبياء الله ورسله، وجمودهم على اتباع ما وجدوا عليه آباءهم، وارتكابهم الفواحش باسم الدين، تعصبا للجمود والتبعية العمياء [١٤] كما قال عز وجل { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ} (المائدة: ١٠٤)، {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ} (البقرة: ١٧٠) {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} (الأعراف: ٢٨) .

إن التقليد الأعمى من شر ما تبتلى به الأفراد والجماعات؛ لأنه يميت مواهب الفكر والنظر، ويوجب جمودها وركودها، ولا يميز بين الحق والباطل، ولا بين الصواب والخطأ، ولا يفرق بين التقليد في الخير والتقليد في الشر، ويحمل أهله على الإعراض عن الحق ومعاداة أهله، والوقوف في طريق الإصلاح والمصلحين، والجمود على العقائد والمذاهب الموروثة، والتعصب الجماعي لحمايتها، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقائق في آيات كثيرة في شأن معاداة الأمم الماضية لدعوة رسلهم { وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} (الزخرف: ٢٣ ــ ٢٤)، وقال في شأن معاداة قريش للدعوة الإسلامية {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ } (ص: ٤ ــ ٦) [١٥] .

---

[١٤] ــ المرجع السابق .

[١٥] ــ يُنظر: المرجع السابق .

٣ ــ حماية العقل وصيانته من المؤثرات: لكل شيء جوهر، وجوهر الإنسان عقله، فالعقل هو أعز ما يملك الإنسان، وقد بَيَّن القرآن الكريم أن هذه الخاصة العظيمة يجب الحفاظ عليها وحمايتها من أي مؤثر يعطل حركتها، أو يوقف استعمالها؛ لأن العقل من ضروريات الحياة للإنسان " ويتجلى أحد مظاهر اهتمام الإسلام بالعقل في حرصه على بقاء هذا العقل في وضع يمكنه من أداء وظائفه " [١٦]؛ ولذلك ورد في القرآن الكريم تحريم الخمر، والتشديد في تحريمها بأبلغ أسلوب حيث يقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (المائدة: ٩٠) .

وما ذلك إلا لأن الخمر تحجر على العقل أن يعمل، بل يصبح الإنسان أشبه بحيوان شرير، يصدر عنه من الشر والفساد مالا حد له؛ كالقتل والاعتداء، وغير ذلك"[١٧].

ــ الربط بين العقل والإيمان

يقول العقاد: " من مزايا القرآن الكثيرة مزية واضحة، يقل فيها الخلاف بين المسلمين وغير المسلمين؛ لأنها تثبت من تلاوة الآيات ثبوتاً تؤيده أرقام الحساب، ودلالات اللفظ اليسير، قبل الرجوع في تأييدها إلى المناقشات والمذاهب التي قد تختلف فيها الآراء، وتلك المزية هي: التنويه بالعقل، والتعويل عليه في أمر العقيدة، وأمر التبعة والتكليف " [١٨].

العقل إذا استعمل استعمالاً صحيحاً فإنه لا محالة مؤد إلى الإيمان، لذلك كان القرآن الكريم يلفت أنظار الإنسان إلى إيقاظ الخاصة التي اختصه الله بها، وميّزه عن سائر المخلوقات، وهي العقل، واستعمالها في النظر إلى ما يحيط به، للوصل إلى موجدها ومدبرها، ومن ثم الإيمان به عن طريق التفكير في آيات الكون، يقول تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (الروم: ٢٤)، ويقول: { وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (النحل: ١٢) وغيرها من الآيات القرآنية الكثيرة [١٩].

---

[١٦] ــ محمد يوسف مصطفى، حرية الرأي في الاسلام، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٢٤.

[١٧] ــ السيد سابق، فقه السنة، دار الفتح للإعلام العربي، ط١٠، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٣٧٥-٣٧٦.

[١٨] ــ العقاد، التفكير فريضة إسلامية، ص ٥ .

[١٩] ــ يُنظر مثلا: سورة البقرة: ١٦٤، وسورة الرعد: ٤.

إن هذا الرابط القوي بين التفكير العقلي الصحيح، والإيمان بالله تعالى، يتضح جلياً في قول الله تعالى: { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ } (الأنفال: ٢٢)، وفي قوله: { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ } (الأنفال: ٥٥)؛ حيث نجد الآية الأولى تنعى على الذين يعطّلون خاصة العقل، التي كرّمهم الله بها، ولذلك شبههم بالأنعام؛ التي تفتقد هذه الخاصة، فهي ليست مطالبة ولا مكلّفة؛ إذ مناط التكليف وجود العقل، ونجد في الآية الثانية الوصف الذي ينطبق على الذين يعطّلون عقولهم، وهو تشبيههم بالدواب، وهو المترتب على عدم استعمالهم العقل؛ وهو ما تسبب في كفرهم بالله، وعدم إيمانهم به. إن القرآن الكريم يربط بين الإيمان أو الكفر من جانب، والعقل الإنساني من جانب آخر؛ لأن وظيفة العقل الأساسية إذا عَمل ونشط هي هداية الإنسان إلى الإيمان بالله تعالى؛ عن طريق التفكير في آيات القرآن الكريم، المكتوبة المسطورة، وآيات الكون المرئية المحسوسة [٢٠].

ومن هنا جعل القرآن الكريم البرهان أساس الإيمان الصادق، والعقيدة الصحيحة، وبيّن أن كل اعتقاد أو عمل لا يقوم على دلائل الحق؛ فهو مردود على صاحبه، وأنه وبال عليه يوم القيامة [٢١]، يقول الله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ . ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ } (الحج: ٨ ــ ٩) .

---

[٢٠] ــ يُنظر: الزحيلي، محمد، حقوق الإنسان في الإسلام، دار الكلم الطيب ــ دمشق، ١٩٩٧م، ص ٥٣ .

[٢١] ــ يُنظر: السائح، أحمد عبدالرحيم، منهج القرآن في تحرير العقل والفكر، الشبكة العالمية، الرابط:
http://www.almenhaj.net/makal.php?linkid=١٣٣٧

المبحث الثاني

مرتكزات حرية الفكر والعقيدة في القرآن الكريم

حرّيّة الفكر والعقيدة هي من الأمور التي نادى بها دعاة الديمقراطية تحت عنوان (الحرّية الفكرية)، واحتلّت موقعاً مهمّاً في الأنظمة القائمة على أساس الديمقراطية، وهي تعني عندهم: السماح لأيّ فرد في أن يفكّر كيفما شاء، ويعتقد بما شاء، ويُعلن عن أفكاره واعتقاداته، ويدعو إليها كما يشاء، شريطة أن لا يمسّ نفس فكرة (الحرّية)، والأسس التي ترتكز عليها .

إن الإسلام الذي هو دين الله في الأرض والسماء، منذ خلق آدم إلى قيام الساعة؛ يدعو إلى التوحيد الخالص، ولذلك لا تصح المقارنة بينه وبين الديمقراطية، وما يذكر من مقارنات إنما هو من باب الجدل المنطقي في النقاش، فهو يختلف عن الديمقراطية في هذا الأمر، وذلك بسبب اختلافه عن الديمقراطية في طبيعة القاعدة الفكرية التي يتبنّاها، وهي (التوحيد)، و ربط الكون كلّه بربّ واحد، فهو يسمح للفكر الإنساني بالانطلاق والإعلان عن نفسه؛ ما لم يتمرّد على هذه القاعدة الفكرية؛ لأنّها الأساس الحقيقي في رأي الإسلام لتوفير الحرّية للإنسان، ومنحه شخصيته الحرّة الكريمة، التي لا تذوب أمام الشهوات، ولا تركع بين يدي الأصنام [٢٢]. وذلك راجع إلى نظرة الإسلام إلى طبيعة هذا الإنسان، وما اختصه الله به من مزايا وخصائص، تتوافق مع هذه القاعدة، وفيما يلي نعرض بعض الأمور التي توضّح هذه الفكرة:

أ ــ الإيمان بالله فطرة إنسانية

فطر الله سبحانه وتعالى الإنسان فطرة سليمة، تتناسب مع طبيعته التي خلقه الله عليها، وإذ كرّم الله سبحانه الإنسان بالعقل المدرك، وحمّله أمانة التكاليف التي تستلزم وجود العقل، وركّب فيه من حواسّ مساعدة تعينه على إدراك الحقائق، مثل السمع والبصر، جعل له حرّية الاختيار في جميع ما يأتيه وما يذره، دون إكراه من أحد من البشر، تظهر هذه الحرية في كثير من آيات القرآن الكريم، ووفق معطيات متعددة، منها:

ــ أن القرآن الكريم يعد الإيمان فطرة إنسانية { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (الروم: ٣٠)، فَفطرة الإنسان التي هي الخلقة والهيأة في نفس الإنسان معدّة

[٢٢] ــ الحائري، السيد علي، حرية الاعتقاد في الإسلام، الشبكة العالمية، الرابط:
http://www.rafed.net/research/index.php?option=com_content&view=article&id

ومهيأة لأن يميّز بها الإنسان مصنوعات الله، ويستدل بها على ربه [٢٣]، ووصف الدين بأنه صبغة { صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ } (البقرة: ١٣٨) [٢٤]، أي دين الله، فالله تبارك وتعالى صبغ الناس بالإيمان، وفطرهم على الاستعداد لقبوله [٢٥]، وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة في قوله (كل مولود يولد على الفطرة) [٢٦]. فالقرآن الكريم إذ يعطي الإنسان حق اختيار معتقده وفق إرادته وفكره؛ فإنه يُرجع ذلك إلى طبيعة هذا المخلوق الكريم المكرّم من قبل الله تعالى، الذي أعطاه هذا الحق في الاختيار وفق خلقته وفطرته، قال تعالى {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا} (الشمس: ٧ ــ ١٠) .

ــ أن الله تعالى بجانب الفطرة التي فطر الناس عليها، وهي الفطرة السليمة التي هي فطرة الإسلام؛ ركّب في هذا المخلوق استعداداً لعمل الخير، واستعداداً لعمل الشر، وهو يستطيع أن يدرك بفطرته، ويميّز بين الخير والشر، والضارّ والنافع، قال تعالى: { وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } (البلد: ١٠). لكن هذا الإنسان بجبلته الفطرية قد يغفل أو يتغافل أو يتكبّر على منهج الله؛ فيقع في الخطأ والعصيان، لكن فطرته السليمة لا بد أن تنبري في أي لحظة من لحظات العمر؛ فتوقظ تلك الغفلة، وترد الإنسان إلى المنهج القويم، والصراط السوي، فتتجه نفس الإنسان إلى بارئها وخالقها طالبة منه العون والمساعدة، يقول الله تعالى { وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ } (الروم: ٣٣) ويقول { وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } (لقمان: ٣٢)، وخير مثال لهذا الأمر ما حكاه القرآن الكريم من قصة فرعون، الذي كان يزعم أنه هو الإله، ولا رب سواه؛ حيث قال للناس كما حكى القرآن عنه { فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى } (النازعات: ٢٤)، { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى

---

[٢٣] ــ ابن عطية، عبدالحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط ١، ١٩٩٣م، ج ٤، ص ٣٣٦ .

[٢٤] ــ يُنظر: طعيمة، صابر، العقل والإيمان في الإسلام، دار الجيل ــ بيروت، ط ١، ١٩٧٩م، ص ٩٤ ــ ٩٥ .

[٢٥] ــ يُنظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٢٢، والنسفي، عبدالله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار النفائس ــ بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ج ١، ص ١٣٠، والمراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، ج ١، ص ١٨٨ .

[٢٦] ــ البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر ــ بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث (١٣٥٨) ج ١، ص ٣٢٧ .

إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ } (القصص: ٣٨)، مع هذا الاستكبار والجبروت والتكبر عندما أدركه الغرق عرف بفطرته أنه لا منقذ ولا منجي إلا الله الواحد الأحد، قال تعالى {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (يونس: ٩٠). ومن هذا نجد أن الإيمان بالله تعالى ضرورة تحتمها الحياة النفسية الإنسانية [٢٧]، يقول العقاد " إن الشوق إلى الإيمان من أقوى أشواق النفس، شوق متصل بحب الحياة، وحب المعرفة، وحب الكمال، وحسبنا منه أنه شوق يعيننا على اليأس، ويمنحنا الأمل، ويجعل للحياة معنى يتصل بالدوام " [٢٨]. ولكن لزم التنويه أنه لا عبرة بالإيمان الفطري، مع أنه موجود في أعماق كل إنسان، وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المأمور به، المكتسب بالإرادة والفعل [٢٩]؛ فالإيمان الفطري يمهد الطريق للإنسان، ويساعده على الوصول إلى الإيمان الشرعي، فلولا الإيمان الفطري لكان الإيمان الشرعي أمراً عسيراً؛ لما سيترتب عليه من إرهاق لنفس الإنسان بسبب مخالفتها للفطرة الإنسانية.

ـ بجانب ذلك؛ بيّن الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان المنهج السوي، الذي يؤدي إلى بر الأمان؛ في الدنيا والآخرة؛ ولذا كان الله سبحانه يُرسل الرسل لتذكير هذا الإنسان، الذي يحيد بطبيعته عن سواء السبيل، وبيان السبل القويمة في الحياة، وفي التعامل مع ما في الوجود، دون أن يُلزم هؤلاء الرسل الناس، أو يُكرهوهم على شيء، قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ من رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ} (يونس: ١٠٨)، {فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (آل عمران: ٢٠)، {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ} (المائدة: ٩٢)، {مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ } (المائدة: ٩٩)، {وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} (الرعد ٤٠)، { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا من دُونِهِ من شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا من دُونِهِ من شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ من قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ } (النحل: ٣٥)، { فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ } (النحل: ٨٢)، {قُلْ أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن

---

[٢٧] ـ محمد سعيد أحمد، الإيمان ضرورة نفسية، مجلة الأزهر، ج ٤، السنة (٥٣) ١٩٨١م، ص ٧٤٠.

[٢٨] ـ عباس محمود، المجموعة الكاملة، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت، ط ٢، ١٩٧٤م، ج ١٠، ص٣٢٧

[٢٩] ـ البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط ١، ١٩٩٣م، ج ٣، ص ٤١٥ .

تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (النور: ٥٤)، { وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (العنكبوت: ١٨)، { وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (يس: ١٧)، { فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ } (الشورى: ٤٨)، { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (التغابن: ١٢).

- اختص الله سبحانه وتعالى هذا الإنسان وأودع فيه أداة التمييز، التي يستطيع بواسطتها أن يعرف الصحيح والخطأ، وقد حثّ القرآن الكريم الإنسان على استعمال هذه الأداة عند ممارسة حقه في اختيار المعتقد، وهو بذلك يريد من الإنسان أن يمارس حقه في حرية الفكر والاعتقاد بوعي تام [٣٠]، قال تعالى { إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً } (الإنسان: ٢ ــ ٣) { أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ . وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ . وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } (البلد: ٨ ــ ١٠) { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً } (الفرقان: ٦٢).

إن قدرة السمع والبصر والعقل وغيرها من الحواس؛ على الاستقبال والإدراك تعتمد على سلامة الفطرة، بجانب ما هيأ الله لعباده من أسباب أخرى: الآيات المبثوثة في الكون، وفي نفس الإنسان، الدالة على الله، الذي لا إله إلا هو .

ب ــ تقرير القرآن الكريم لحرية الفكر والعقيدة

من المسؤوليات المناطة بالإنسان باعتباره حراً عاقلاً مكلفاً أن يتفكّر ويتدبر بعقله؛ للتوصل إلى الإيمان بالله تعالى، فالله سبحانه وتعالى أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يبيّن هذه الحقيقة للناس { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ } (سبأ: ٤٦).

---

[٣٠] ــ يُنظر: العياصرة، وليد رفيق، حقوق الإنسان في القرآن الكريم ودورها في التنشئة الاجتماعية، دار الحامد للنشر والتوزيع ــ عمان، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ١٤٢ .

ففي هذه الآية الكريمة تنحصر مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة الناس إلى التفكر والتدبر في مسألة الإيمان والتوحيد؛ إبرازاً لأهمية مسؤولية التفكير في حياة الإنسان، وأهمية القضية التي يُدعى الإنسان إلى أن يُفكر فيها ويعتقدها [٣١].

ومن أبرز مظاهر احترام القرآن لحرية الإنسان؛ أن أعطى للإنسان الحرية الكاملة في اختيار عقيدته، ومنع الإكراه في الدين، ومن الطبيعي أن يتحمل الإنسان بعد ذلك مسؤولية اختياره لعقيدته، وذلك في بدء تفكيره، وأما إذا دخل شريعة الإسلام؛ فلا يجوز له أن يرتد بعد ذلك، وإذا ارتد عاقبه الإسلام، ذلك لأن الله تعالى أعطى الإنسان الحرية ابتداء، أي في بداية تفكيره .

وقد جعل القرآن الكريم أولاً حرية التفكير أساساً لحرية الاعتقاد، فهو بداية يدعو الإنسان إلى التفكير، وإعمال العقل، والتحرر من ربقة التقليد، والتعرف على حقائق الكون ليستنبط من هذا الإبداع العظيم، وحدانية الخالق، فيصل بفطرته إلى الاعتقاد الصحيح، والإيمان الحق، وبذلك جعل حرية التفكير أساساً لحرية الاعتقاد [٣٢]، يقول الله تعالى: { أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ . أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ . أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } (النمل: ٦٠ ــ ٦٤).

إنها آيات تدعو إلى التأمل الحر، والنظر العميق، في الآيات الكونية، وإعمال أدوات الفكر والتعقل، للوصول إلى الحقيقة، بأدلة تهدي الإنسان إلى الطريق السوي، ولذلك نعى القرآن الكريم التقليد الأعمى؛ " لأن التقليد وحرية الاعتقاد نقيضان لا يجتمعان " [٣٣]، فقال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ } (البقرة: ١٧٠) . وقال: {

---

[٣١] ــ النحوي، عدنان علي رضا، المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، دار النحوي للنشر والتوزيع ــ الرياض، ط ١، ١٩٩٧ م، ص ٢٦٦ ــ ٢٦٧ .

[٣٢] ــ النمر، عبد المنعم، الحرية كما يريدها الإسلام، مجلة الأزهر، الجزء (١٠)، السنة (٣٦)، ١٩٦٥م، ص١٠٤٥.

[٣٣] ــ أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، ص ١٨٣.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ } (لقمان: ٢١) .

إن الحرية الفكرية التي جعلها الإسلام رائدا للتفكير، ونبراسا للعقول والأفهام، في الاهتداء إلى معالم الحق؛ هي الحرية التي تطلق الفكر من أغلال الحجر العقلي، والكبت الفكري، وتحررها من سيطرة التقليد والتبعية العمياء، وتجلي لها معالم الحقائق التي كانت محجوبة عنها، وتجعل قيادة التوجيه قيادة بناء وإصلاح وإرشاد، لا قيادة هدم وإفساد وتضليل، وتستمد مقوماتها العلمية من هدى الإسلام وتعاليمه، ونضوج العقل واستقامة التفكير، والاعتماد على قضايا الحق والمنطق، وتحكيم الحجة والبرهان [٣٤].

ج ــ ضمان حرية الفكر والعقيدة

لقد جاء القرآن الكريم ليرد الإنسان إلى ذاته، وليعرّفه بماهيته ورسالة وجوده، وبدوره في الحياة، وما ينبغي عليه فعله، وما يجدر به أن يتجنبه ويتوقاه، ولما كان الوجود الإنساني وجوداً حضارياً، أي أن الإنسان لا يُعرف ولا يكون له وجود بغير وجود حضاري يجسّده فكراً وعقيدة. فإن القرآن الكريم قد عمل بمنهاج قيّم على إحياء الإنسان فكراً وعقيدة وإرادة [٣٥].

إن الذات الفردية في العقيدة الإسلامية لا تخضع لأي مؤثر خارجي، بل تُترك لحريتها الذاتية، والترك هنا ترك أمر لا ترك اختيار، وكأن الحرية فريضة على الذات، يجب أن تؤدي حقها وتنهض بتبعاتها، وفي هذا إحياء للذات التي تدرك ذاتها إدراك وعي بصير بكيانها [٣٦].

إننا نجد هذه المثالية مبثوثة في كثير من آيات القرآن الكريم، ولنقف وقفة تأمل مع قول الله تعالى خطاباً لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ } (سبأ: ٤٦) فالأمر الإلهي هنا للرسول صلى الله عليه وسلم أن يبيّن للناس جميعاً، ويذكرهم، ويعرض عليهم عقيدة الإسلام الناصعة الجلية، وأن يأخذوا الموضوع مأخذ الجد، دون أن يفرض عليهم ما يكون فيه إرغام لإرادتهم، أو قهر لفكرهم.

---

[٣٤] ــ السائح، أحمد عبدالرحيم، منهج القرآن في تحرير العقل والفكر، الشبكة العالمية، الرابط:
http://www.almenhaj.net/makal.php?linkid=١٣٣٧

[٣٥] ــ يُنظر: حجازي، محمد عبدالواحد، الحرية في القرآن الكريم، دار الوفاء ــ الإسكندرية، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ١٠٣ .

[٣٦] ــ المرجع السابق، ص ١٣٥ .

فمن المسؤوليات المناطة بالإنسان، باعتباره حراً عاقلاً مكلفاً، أن يتفكر ويتدبر بعقله، للتوصل إلى الإيمان بالله تعالى، دون أن يتدخل أحد في إكراهه وإجباره إلى معتقد معيّن.

فلا إكراه في الدخول في دين الإسلام بعد أن أعطى الله سبحانه وتعالى الإنسان خاصة العقل المدركة، التي يستطيع الإنسان من خلالها التمييز بين الحق من الباطل، وبعد أن بيّن له طريق الهدى، وسبل الضلال، من خلال المنهج الذي بعث به الرسل؛ لأن الدخول في الإسلام يجب أن يصاحبه إيمان صادق، ويقين ثابت، ليس فيه شك ولا ريب.

ومن هنا منع القرآن الكريم الإكراه في الدين [٣٧]، كما ورد في قوله تعالى: { لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ منَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (البقرة: ٢٥٦). وقد ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاة (التي لا يعيش لها ولد) فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوّده، فلما أجليت بني النضير، كان فيهم أبناء الأنصار، فقالوا لا ندع أبناءنا، فأنزل الله هذه الآية. وفي رواية عن ابن عباس أيضاً في سبب نزول هذه الآية الكريم قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف، يقال له الحصيني، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلماً، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا أستكرههما؟ فإنهما قد أبيا إلا النصرانية، فأنزل الله الآية[٣٨]. ومهما تعددت آراء العلماء حول هذه الآية الكريمة؛ فإن الذي ينبغي التعويل عليه واعتماده هو السبب الذي نزلت لأجله [٣٩].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: " أي: لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بيّن واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونوّر بصيرته، دخل فيه على بيّنة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصّره؛ فإنه لا يفيده الدخول في الدين

---

[٣٧] ــ يُنظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون ــ تونس، ١٩٩٧ م، مجلد ٣، ج٣، ص ٢٦.

[٣٨] ــ يُنظر: السيوطي، جلال الدين، أسباب النزول، دار الفجر للتراث ــ القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢م ،ص ٧٦، وابن كثير، إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار 'حياء التراث العربي ــ بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٨١، والقرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر ــ بيروت، ١٩٩٨م، مج ٢، ج ٣، ص ٢٥٦.

[٣٩] ــ يُنظر: الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، تح: سيد إبراهيم، دار الحديث ــ القاهرة، ط ٣، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٤٠٩.

مكرهاً مقسوراً " [٤٠]. وذكر الطباطبائي أن معنى قوله تعالى {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} هو نفي الدين الإجباري. بما أن الدين هو سلسلة اعتقادات، والاعتقاد والإيمان من الأمور القلبية، التي لا يحكم فيها الإكراه والإجبار، فإن الإكراه إنما يؤثّر في الأعمال الظاهرة والأفعال والحركات البدنية المادية [٤١].

إنه لا يمكن الإكراه على (الدين)؛ لأنّ (الدين) ليس عبارة عن كلمات تردّدها الشفاه، ولا هو عبارة عن طقوس تقليدية تؤدّيها العضلات، كي يكون أمراً قابلاً للإكراه، وإنّما هو عقيدة وكيان ومنهج في التفكير، وهذا أمر لا يقبل الإكراه بتاتاً، أيّ: أنّ من المستحيل أن يحصل للإنسان الإيمان بشيء يكرهه، ولا يرضى به، والمطلوب شرعاً في أصول الدين هو الإيمان بهذه الأصول [٤٢].

تقول بنت الشاطئ مشيرة إلى ضرورة توفر عنصر الحرية في الاعتقاد: " ولأن العقيدة لا تكون عقيدة حتى تصدر عن اعتقاد، والإيمان لا يكون إيماناً حتى ينبع من القلب والضمير، عن رضىً خالص، وطمأنينة صادقة، ولا خير في كلمة ينطق بها اللسان زوراً، ويكفر بها القلب، فذلك هو النفاق الذي يعده الإسلام شراً من الكفر الصريح" [٤٣].

" إن الإكراه ليس من شأنه أن يفرض عقيدة أو قناعة على أحد، بل موافقة ظاهرية، ولا قيمة لإيمان مُكره " [٤٤]. ثم إنه لا اعتداد في الآخرة بما يفعل الإنسان في الدنيا من الطاعات كرهاً؛ فإن الله تعالى يعتبر السرائر ولا يرضى إلا الإخلاص [٤٥]، ولهذا

---

[٤٠] ــ ابن كثير، إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ٔحياء التراث العربي ــ بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٨٠ .

[٤١] ــ يُنظر: الطباطبائي، محمد علي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ــ بيروت، ط ٣، ج ٢، ص ٣٤٢ .

[٤٢] ــ الحائري، السيد علي، حرية الاعتقاد في الإسلام، الشبكة العالمية، الرابط:
http://www.rafed.net/research/index.php?option=com_content&view=article&id

[٤٣] ــ بنت الشاطئ عائشة عبدالرحمن، القرآن وقضايا الإنسان، دار العلم للملايين ــ بيروت، ط ٥، ١٩٨٢م، ص ٩٦.

[٤٤] ــ الربيعي، فايز، وقفات مع الإنسان في القرآن، كنوز المعرفة ــ عمان، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٢٢١ .

[٤٥] ــ يُنظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ص ٤٨٠ .

قال عليه الصلاة والسلام (إنما الأعمال بالنيات) [٤٦] وقال (أخلص دينك يكفيك العمل القليل) [٤٧].

يقول المحاسبي: " فافحص عن النية، واعرف الإرادة؛ فإن المجازاة بالنية " [٤٨].

" إن الله لا يقبل إيماناً لا ينبع من قلب الإنسان بقناعة ويقين، لا يقبل إيماناً أكره عليه الإنسان حتى ينافق فيظهر الإيمان ويبطن النفاق والشرك والكفر " [٤٩].

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى أن حرية الإنسان في اختيار معتقده لا تخرج عن مشيئته سبحانه، فلو أراد سبحانه لجعل الناس يؤمنون جميعاً، ولكنه بتكريمه سبحانه للإنسان أعطاه حق حرية الاعتقاد، دون أن يعطي أي أحد الحق في إجباره على ما يعتقده [٥٠]؛ لذا خاطب الله سبحانه رسول الإنسانية محمداً – صلى الله عليه وسلم – بأن لا يكره الناس على الإيمان بالله يقول سبحانه: { وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ } (يونس: ٩٩).

د ــ حدود حرية الفكر والعقيدة

وإذا كان قد تقرر سابقاً أن القرآن الكريم لا يُعطي الحق لأي أحد كان؛ الإكراه في الفكر والمعتقد، ويعتبره مخالفاً لحرية الإنسان؛ فإنه لا ينبغي أن يُفهم من ذلك أن القرآن الكريم يُلقي بالحبل على الغارب لهذا الإنسان، فيتمرد على الفطرة الإنسانية الصحيحة، والقاعدة الإلهية والمنهج الرباني، التي وضعها الله سبحانه في هذا الكون، وكلّف الإنسان بتحمّل المسؤولية تجاهها.

وقد يسيء بعض الناس فهم مقصد القرآن الكريم في الآية الكريمة المانعة من الإكراه في الدين، وهي قوله تعالى: { لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ } (البقرة:٢٥٦) فيظنّ أنّ القرآن الكريم قد كفل للإنسان حريّة (التديّن)، و (عدم التديّن)؛ حيث منع في هذه الآية من الإكراه على الدين والتديّن، وهذا يعني أنّه أقرّ الحرّية الدينية، أخذاً بمبدأ الحرّية الشخصية الذي تؤمن به الحضارات الحديثة؛ فإنّ الحرّية

---

[٤٦] ــ البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الوحي، باب: كيف بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (١)، ج ١، ص ١٧ .

[٤٧] ــ الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط ١، ١٩٩٠م، كتاب: الرقاق، رقم الحديث (٧٨٤٤)، ج ٤، ص ٣٤١ .

[٤٨] ــ المحاسبي، الحارث بن أسد، رسالة المسترشدين، تح: عبدالفتاح أبو غدة، دار السلام ــ حلب، ط٥، ١٩٨٥م، ص ٤٥ .

[٤٩] ــ النحوي، المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص ٢٦٧ .

[٥٠] ــ يُنظر: العياصرة، حقوق الإنسان في القرآن الكريم ودورها في التنشئة الاجتماعية، ص ٤٢ .

الدينية في الحقيقة تعبّر في جانبها العقائدي عن (الحرّية الفكرية)، وتعبّر في جانبها العملي الذي يتصل بالشعائر والسلوك عن (الحرّية الشخصية) .

هذا ما قد يفهم البعض من الآية الشريفة، إلاّ أنّ هذا الفهم مجانب للصواب؛ لأنّ الإسلام الذي جاء لتحرير الإنسان من عبودية الأصنام، وليحقق العبودية لله وحده على أساس (التوحيد)، لا يمكن أن يأذن للإنسان بالتنازل عن أساس حرّيته، والانغماس في عبوديات الأرض المختلفة، كما أنّ الإسلام لا يعتبر (التوحيد) أمراً يرتبط بالسلوك الشخصي الخاصّ للإنسان، كما تراه الديمقراطية، بل يعتبره القاعدة الأساسية لكيانه الحضاري كلّه، فكما لا يمكن للديمقراطية الغربية مهما آمنت بالحرّية الشخصية أن تسمح للأفراد بمعارضة فكرة (الحرّية) نفسها من خلال تبنّي أفكار فاشية و دكتاتورية، كذلك لا يمكن للإسلام أن يقرّ أيّ تمرّد على قاعدته الرئيسة (التوحيد) من خلال السماح للإنسان بعدم التديّن، وعدم الإيمان بالله وباليوم الآخرة، وإنّما يهدف القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة إلى نفي الإكراه في الدين؛ نظراً إلى عدم الحاجة إلى الإكراه، ما دام قد تبيّن الرشد من الغيّ، وتميّز الحقّ عن الضلال [٥١]. وإلا فإن الحق تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز { وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (آل عمران: ٨٥)، إن الدين الذي شرعه الله، وبعث به رسله، والذي يُقبل هو الإسلام الذي يعني " الانقياد والامتثال لأمر الله ونهيه بلا اعتراض " [٥٢]. وقد جاء الأمر الرباني بالتزام الإيمان في قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً } (النساء: ١٣٦) .

ومن هذا يتبيّن أن حرية الفكر والعقيدة ليست بمعنى أن الإنسان حر في أن يختار الإيمان أو الكفر { إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } (الزمر: ٧) فحرية الفكر والعقيدة مناطة بالإنسان في أن يتفكر ويتدبر، ويُعمل عقله في التوصل إلى التفكير الصحيح، الذي يقوده إلى الإيمان الخالص بالله سبحانه وتعالى .

وإذا كان القرآن الكريم قد جعل للإنسان الحق في حرية الاعتقاد، فلا يعني ذلك أن الإنسان ليس عليه أي تبعة إذا اختار طريقاً غير طريق الحق، فإذا اختار طريق الضلال فعليه تحمل عاقبة اختياره، فإن هذا الإقرار لحرية الاعتقاد يلقي على الإنسان

---

[٥١] ــ الحائري، السيد علي، حرية الاعتقاد في الإسلام، الشبكة العالمية، الرابط:
http://www.rafed.net/research/index.php?option=com_content&view=article&id

[٥٢] ــ المودودي، أبو الأعلى، مبادئ الإسلام، دار الفكر، ص ٤ .

تبعة اختياره، ويُحمّله مسؤولية حريته، قال تعالى: { وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً } (الكهف: ٢٩)، فقد توعّد الحق تبارك وتعالى في آخر الآية الكريمة من اختار طريق الضلال، واعتبره ظلمٌ للنفس الإنسانية؛ لذا كانت العاقبة وخيمة، والعذاب شديد.

يقول الله تعالى مقارناً بين من يختار طريق الضلال والفساد؛ ومن يختار طريق الإيمان والاعتقاد الصحيح، مبيناً أنهم لا يمكن أن يتساوون؛ لا في المنزلة والمرتبة، ولا في الجزاء: { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ } (الجاثية: ٢١)، { هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ . يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ . وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ . كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ . إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ . وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ} (الحج: ١٩ ــ ٢٤)، {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ. أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} (ص: ٢٧ ــ ٢٨)، { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ} (محمد: ١ــ٣) .

وأخيراً فإن جميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان إذا لم تكن منطلقة من قاعدة الإيمان؛ فإنها لا تكون لها قيمة في ميزان الله، يقول الله تعالى { وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (المائدة: ٥)، والحق أن الحرية في القرآن الكريم منضبطة بضوابط الشرع، الذي خاطب العقل، ليحقق العقل اسمه بالفعل، والاحتراز في اتخاذ القرار في أي شأن من شؤون الحياة .

الخاتمة:

خلق الله هذا الإنسان ليكون خليفته في أرضه، واختصه بمزايا تتناسب مع فطرته وحياته في هذا الكون، وأراده أن يكون مبدعاً حراً منطلقاً يتفكر ويتدبر أسرار الوجود، ومكنونات الحياة، ومن أعظم نعم الله على هذا الإنسان أن جعل له إرادة حرة، لا يمكن أن تسلب منه بأي حال من الأحوال، وقد خرجت هذه الدراسة بالنتائج الآتية:

- اختصاص الله سبحانه كل إنسان بالعقل دليل على تكريمه له، فيجب على الإنسان أن يقدر هذا التكريم باستخدامه إلى التوصل إلى الفكر الصائب والعقيدة الصحيحة.
- إن الإنسان مكلف ومطالب بالتفكر والتأمل والتدبر للوصول إلى الحقائق، ولا يصح أن توضع قيود أمام فكر الإنسان وعقله.
- كذلك لا يمكن أن يفرض على الإنسان فكر، معين أو عقيدة معينة، لأن ذلك يتنافى مع حرية الإنسان، واستخفافاً بعقله.
- حرية الفكر والعقيدة أمر غير قابل للإكراه؛ لأنهما أمران باطنان ينبعان من داخل وجدان الإنسان، يعتمدان على الاقتناع والإيمان.

قائمة المراجع

١. ــ الباش، حسن مصطفى، حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، جمعية الدعوة الإسلامية ــ بنغازي، ط١، ١٩٩٧م .

٢. ــ البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر ــ بيروت، ط ١، ٢٠٠١م .

٣. ــ البسيوي، أبو الحسن علي بن محمد، جامع أبي الحسن البسيوي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٤م .

٤. ــ البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط ١، ١٩٩٣م

٥. ــ البهي، محمد، الإسلام دين المستوى الفاضل في الإنسانية، مجلة حضارة الإسلام، السنة (٦)، العدد (١٠)، ١٩٦٥م .

٦. ــ الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط ١، ١٩٩٠م .

٧. ــ الحائري، السيد علي، حرية الاعتقاد في الإسلام، الشبكة العالمية، الرابط:

٨. http://www.rafed.net/research/index.php?option=com_content&view=article&id

٩. ــ حجازي، محمد عبدالواحد، الحرية في القرآن الكريم، دار الوفاء ــ الإسكندرية، ط ١، ٢٠٠٨ م .

١٠. ــ درادكة، صالح موسى، الإنسان في القرآن، مؤسسة شيرين- عمان ١٩٨٧م

١١. ــ الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط ١، ١٩٩٧م .

١٢. ــ الراوي، محمد، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، مكتبة العبيكان ــ الرياض، ١٩٩٥ .

١٣. ــ الربيع، فايز، وقفات مع الإنسان في القرآن، كنوز المعرفة ــ عمّان، ط ١، ٢٠١٠م .

١٤. ــ الزحيلي، محمد، حقوق الإنسان في الإسلام، دار الكلم الطيب، دمشق، ط ٢، ١٩٩٧ م .

١٥. ــ الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، ط ١، ١٩٩٧م .

١٦. ــ أبو زهرة، محمد، تنظيم الإسلام للمجتمع، دار الفكر العربي، القاهرة .

١٧. ــ السائح، أحمد عبدالرحيم، منهج القرآن في تحرير العقل والفكر، الشبكة العالمية، الرابط:

١٨. http://www.almenhaj.net/makal.php?linkid=١٣٣٧

١٩. ــ السيد سابق، فقه السنة، دار الفتح للإعلام العربي، ط١٠، ١٩٩٣م .

٢٠. ــ السيوطي، جلال الدين، أسباب النزول، دار الفجر للتراث ــ القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢م .

٢١. ــ بنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن، القرآن وقضايا الإنسان، دار العلم للملايين ــ بيروت، ط ٥، ١٩٨٢م .

٢٢. ــ الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث ــ القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م .

٢٣. ــ الطباطبائي، محمد علي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ــ بيروت، ط ٣ .

٢٤. ــ طعيمة، صابر، العقل والإيمان في الإسلام، دار الجيل ــ بيروت، ط ١، ١٩٧٩م.

٢٥. ــ ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون ــ تونس، ١٩٩٧م.

٢٦. ــ عزت محمد حسن، نعم الله في خلق الإنسان كما يصوره القرآن، مكتبة المعارف ــ الرياض، ط ١، ١٩٨٤ م .

٢٧. ــ ابن عطية، عبدالحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط ١، ١٩٩٣م .

٢٨. ــ العقاد، محمود، التفكير فريضة إسلامية، دار الهلال .

٢٩. ــ العقاد، عباس محمود، المجموعة الكاملة، دار الكتاب اللبناني ــ بيروت، ط ٢، ١٩٧٤م.

٣٠. ــ العلواني، طه جابر، العقل وموقعه في المنهجية الإسلامية إسلامية، مجلة المعرفة، العدد (٦)١٩٩٦م .

٣١. ـ العياصرة، وليد رفيق، حقوق الإنسان في القرآن الكريم ودورها في التنشئة الاجتماعية، دار الحامد للنشر والتوزيع ـ عمان، ط ١، ٢٠٠٨ م.

٣٢. ـ القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر ـ بيروت، ١٩٩٨م.

٣٣. ـ ابن كثير، إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.

٣٤. ـ المحاسبي، الحارث بن أسد، رسالة المسترشدين، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، دار السلام ـ حلب، ط ٥، ١٩٨٥م.

٣٥. ـ محمد يوسف مصطفى، حرية الرأي في الإسلام، مكتبة غريب، القاهرة،١٩٨٩م

٣٦. ـ محمد سعيد أحمد، الإيمان ضرورة نفسية، مجلة الأزهر، ج ٤، السنة (٥٣) ١٩٨١م.

٣٧. ـ المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط ١، ١٩٩٨م .

٣٨. ـ المودودي، أبو الأعلى، مبادئ الإسلام، دار الفكر.

٣٩. ـ النحوي، عدنان علي رضا، المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، دار النحوي للنشر والتوزيع ـ الرياض، ط ١، ١٩٩٧ م.

٤٠. ـ النسفي، عبدالله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار النفائس ـ بيروت، ط ١، ١٩٩٦م .

٤١. ـ النمر، عبد المنعم، الحرية كما يريدها الإسلام، مجلة الأزهر، الجزء (١٠)، السنة (٣٦)، ١٩٦٥م .